

# أيتها البركة

افرحوا بالأعياد والمواسم

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

شهد الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر الماضى عيدين متقاربين : عيد الأضحى ، وعيد الميلاد ، ثم أعقبهما عيد رأس السنة الميلادية ، وبعد أيام أخرى حل عيد رأس السنة الهجرية ، فكان اجتماع هذه الأعياد مثار موازنة بين استقبال الطوائف المختلفة لأعيادها العامة ، موازنة تصلح للنظر في طبع هذه الطوائف وللفكرة العامة عن الحياة في عرف كل منها .

والاحتفال بالأعياد يقوم في أول أمر على تقديس المناسبة التي يسمى بها العيد وإحياء ذكراها سواء أكانت هذه المناسبة مولد نبي أو زعيم ، أم نهضة قومية أو فكرية أو دينية ، أم موسما من مواسم المحاصيل التي كانت في الزمن الغابر تقترن بتقديم القرابين للآلهة من بواكير هذه المحاصيل ... إلى آخر المناسبات التي تقام لها الأعياد .

ولكن هذه الأعياد بتقادم العهد قد تتجرد من الحافز الأول ، وتصبح مقصودة لذاتها ، فتعود بذلك إلى البعث النفسى الحقيقى على كل عيد ومهرجان ، وهو الرغبة في الابتهاج والحبور والنشاط والانطلاق من قيود الحياة اليومية ومن مشاغها العادية .

فالأعياد — بهذه الصفة — محطات في طريق الحياة الطويل ، يأوى إليها المجهدون من أعباء العيش والنضال ، فيلقون بأنفاسهم عندها ويتخففون مما يوقر ظهورهم ونفوسهم من الهموم والمشاكل ، ليتفرغوا — في يوم أو أيام معدودة — للنشاط الخفيف والمرح الوئابل ، ويفيروا من " الروتين " العادى لحياتهم ، ويخرجوا منه إلى الطلاقة التامة .

والاحتفال بالأعياد على هذا الوضع لاينفى أن تبقى للمناسبة الأولى ذكراها ، وأن تكون هذه الذكرى ملحوظة في كثير من التصرفات والتوجيهات ، وأن تحتفظ الأجيال بالشعائر الدينية أو التقليدية لهذه الأعياد منذ نشأتها ، بل ربما كان في هذا الاحتفاظ ما يزيد بهجة العيد ويفسح في متعة المحتفلين به لأنهم يجمعون بين الدنيا والدين وبين الحاضر والماضى في مناسبة واحدة .

وحين نحاول النظر في طريقة احتفالنا بالأعياد وطريقة احتفال الطوائف الأجنبية التي تقيم بيننا نجدهم قد أحسنوا الانتفاع بها من الوجهتين النفسية والاجتماعية ، بينما تخلفنا نحن في هذا المضمار ، حتى تمر أعيادنا ميبة ، وتنطلق أعيادهم زاهرة بالحياة .

ففي ليلة "الكريسماس" كما في ليلة رأس السنة كانت مدينة القاهرة — على ما يحيم عليها من الظلام والكآبة في هذه الأيام — تكاد ترقص مرحة ونشاطا بما ينطلق في أرجائها من ضحكات ، وما تمتلئ به نواحيها من قفزات ، وبما تعمربه القلوب من الهبة والسرور والأمل والاستبشار .

وبات الأطفال في ليلة "الكريسماس" يعامون "بابا نويل" وما يعده لهم من الهدايا الجميلة بطريقته اللطيفة المحبوبة التي تناسب خيال الأطفال وتضاعف الهبة بالهدايا التي يحملها ! . كما باتت كل ربة بيت تبكر وسائل التفریح والتفریح لبيتها وزوجها وأبنائها ، وكذلك كان يشغل زوجها ما يشغلها حتى تبرغ شمس ذلك اليوم وكأنها شمس جديدة . فاذا الجيع في نشوة بمطلعها الجديد .

أما اليوم نفسه فهو عيد . عيد حقيقة لا مجرد اسم أجوف . عيد كل شيء فيه جديد : الملابس والطعام والأفكار والآمال . عيد تملؤه الحياة ويتفجر منه النشاط ، وتتصاق الأصوات المرحية تجاوبها التفقرات النشيطة ، وتصفق القلوب مع الأكف ، تحية للحياة وتطلعا إلى المستقبل وتخفقا من الماضي .

أما نحن فكيف مر بنا عيد الأضحى وعيد رأس السنة الهجرية ، بل كيف تمر بنا الأعياد على الدوام ؟

تمر راكدة باهتة حزينة . وأبهج مانصادفه هو بعض الثياب الحديدية الصارخة الألوان على أبناء الطبقات الفقيرة ، ومرامير القصب في أيديهم ، وبعض الخلوى التي يتأهبها منهم الدباب . وهؤلاء — مع ذلك — أعرفنا بالعيد وأحسننا تصرفا به وذوقا في استقباله ، أما الآخرون فنيا عدا "ذبح الحروف" وصنع الكعك والفضائر فقد انقلب الرجال إلى المفاهي في جلسة رحية بليدة ، أو أخذوا يطفون بتساديق البريد الحصرية لوضع بطاقات العيد كعامة البريد خوفا من أن يتقاهم رب اندار ، واقببت السيدات إلى المطابخ يهينن الأطعمة الدسمة المؤذية للعدة . وكان الله يحب المحسنين .

ولقد كان الريف المصرى — وما يزال — خيرا من المدن استقبالا للأعياد ، فلا تزال للعيد بعض بهجته ولا يزال موسما للتراور ولللبس الحديد . وللفرح بمقدار ما تسمح روح الفقر والبؤس المحيمة هناك على الربوع .

إن كثيرين منا يحسبون من الترفع ألا يحتفلوا بالعيد احتفالا صاخبا ، وينظرون إلى لبس الحديد في هذا اليوم وإلى العناية بمراسمه والخروج على العادات المألوفة بمناسبته ، نظرة المستهزئ المستصغر، لأن الرقي في نظرهم أو العقل أو الوفاق يتنافى مع الانطلاق والابتهاج في هذه المناسبات .

وذلك خطأ أكبر الخطأ ، فالفرح عنصر إنساني أصيل ، بل هو دليل على نشاط النفوس وقوتها ؛ وكثيرا ما يكون الترفع والتوقر مظهرا من مظاهر الفراغ النفسى والفقير الوجدانى ، ودليلا على انعدام الانسانية في النفس البشرية .

فأفرحوا أيها الناس في هذه الأعياد والمواسم القليلة حتى تروحوا عن نفوسكم وتستعيدوا نشاطكم في مرحلة الحياة الطويلة .

على جمال الدين

### تصحيح

في العدد الماضى من هذه المجلة جاء فى مقال حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا أن مساحة الأراضى الزراعية والقابلة للزراعة فى مصر لا تزيد عن ٣,٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع والصحيح أن مساحتها كما قال سعاده ٣٥,٠٠٠ كيلومتر مربع .